

ما يُعنى به من كتب بعد القرآن

السؤال: ما رأي فضيلتكم في الاختصار على كتاب الموطأ، وبداية المجتهد لابن رشد، والنحو الواضح لِعليّ الجارم ومصطفى أمين، والعناية بهم بعد حفظ القرآن، وهل هناك كتاب أفضل من الموطأ في الحديث يمكن حفظه والاختصار عليه؟

الجواب: الذي يظهر من سؤاله وجمعه بين الموطأ والنحو الواضح وبداية المجتهد أنه مبتدئ، أو في حُكم المبتدئ من طلاب العلم، مثل هذا صُنِفَ له كتب تناسب فهمه ومستواه العلمي، فللمبتدئين أَلْفَ أهل العلم كُتِبَ في سائر الفنون تناسب مستواهم وتحصيلهم العلمي، فالمبتدئ في علم الحديث مثلاً لا يليق به ولا يحسن أن يتناول على الكتب المسندة كالموطأ، فالأجدر به أن يحفظ الأربعين، ثم عمدة الأحكام، ثم بلوغ المرام، ثم بعد ذلك يقرأ في الكتب الأصيلة المسندة، لا مانع من ذلك بعد حفظ هذه الكتب ومطالعة شروحها وحضور الدروس التي تشرح هذه الكتب، فإذا بدأ بالأربعين النووية ثم العمدة ثم بلوغ المرام له أن يقرأ في هذه الكتب المسندة ويستفيد منها إن شاء الله تعالى.

أما بالنسبة لكتاب النحو الواضح فهو كتاب من مؤلفات المعاصرين، واعتني به وقرر على كثير من المعاهد العلمية، وهو كتاب مرتب ومنظم وفيه أمثلة، وقواعد وشرح للقواعد، وتمارين وما أشبه ذلك، ويصاحبه أيضاً حلّ لهذه التمارين التي في هذا الكتاب، في كتاب مستقل، وله نظير في البلاغة، وهو كتاب البلاغة الواضحة، على كل حال العلماء رتبوا لمن أراد علم العربية كتباً يتدرج فيها طالب العلم، فيقرأ مثلاً في البداية الأجرومية، وهذا كتاب مختصر وواضح ومرتب ومبارك، انتفع به الناس منذ تأليفه إلى يومنا هذا، والناس لا يزالون ينتفعون به، وشروحه لا تُعد ولا تُحصى، ولا تزال العناية به عند أهل العلم في جميع الأقطار، فالمبتدئ من طلاب العلم إذا أراد البداية في علم العربية عليه أن يبدأ بالأجرومية، ويقرأ في شروحها ويسمع ما سُجِّلَ عليها، ويحضر الدروس التي تعني بها، ثم بعد ذلك إذا أنهى هذا الكتاب المختصر يبدأ بـ "قَطْر الندى" لابن هشام وعليه شروح للمؤلف وغيره، وإن قرأ في كافية ابن الحاجب بدل القَطْر، فهذا لا شك أنه معتمد في كثير من الأقطار، ثم بعد أن يتجاوز مرحلة المتوسطين يقرأ في ألفية ابن مالك، نظير ما قلناه في علم مصطلح الحديث، يقرأ في النخبة، ثم اختصار علوم الحديث، ثم ألفية العراقي.

"بداية المجتهد" كتاب متين لا يناسب المبتدئين ولا المتوسطين من طلاب العلم، يناسب المنتهين، ويُمرّن الطالب على الاجتهاد، فيذكر أقوال أهل العلم ومآخذ كل قول، ويربيه ويمرّنه على الترجيح بين هذه الأقوال، هذا الكتاب يناسب المنتهين والمتقدمين من طلاب العلم ولا يناسب المبتدئين، فالمبتدئ يبدأ بصغار العلم قبل كباره؛ فيبدأ بالمتون الصغيرة ويحفظ المتن، وينظر في الشروح،

ويسمع الأشرطة عليها ويحضر الدروس، ثم ينتقل إلى كتب الطبقة التي تلي طبقة المبتدئين من المتوسطين، ثم بعد ذلك ينظر في الكتب المؤلفة للمتقدمين وبذلك يترقى؛ لأن العلم كالمكان المرتفع العال؛ لعلوه وشرفه يحتاج إلى سلم يصعد إليه بواسطته، فلا بد أن يتدرج في العلم كما قرر أهل العلم (1).

(1) برنامج فتاوى نور على الدرب، الحلقة الحادية عشرة، 1431/10/23